المقالة عند أبي الحسن الندوي

دراسة نقدية في الموضوع والفن

للباحثة: سناء بنت راجح بن سعد بن عبدان الغامدي

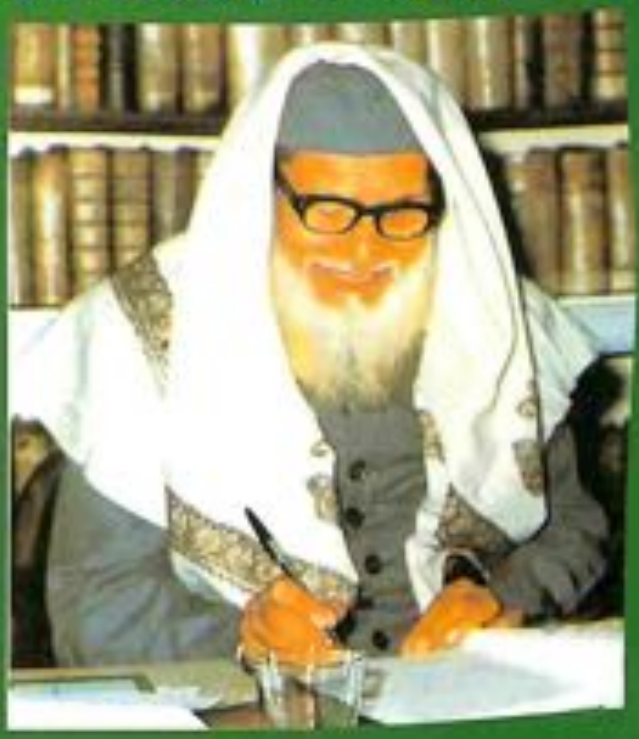

موضوع هذه الدراسة عينة من مقالات الشيخ أبي الحسن الندوي، موضوعيا، وفنيا، ويبلغ عدد هذه المقالات أكثر من مئة مقالة، مما نشر في المجلات والدوريات العربية، علما أنها تتنوع في الأصل من حيث مناسباتها ووسائل بثها ونشرها لأول مرة، من بين محاضرة عامة، وحديث إذاعي أو مرئي، وكلمة ألقاها في مناسبة معينة، كموسم الحج، والمؤتمرات والندوات، وما إلى ذلك، إضافة إلى المقالات التي كتبها للمجلات والدوريات العربية، وكذلك نشر له فيها مقالات مترجمة عن لغات أخرى، فهي جميعا نشرت بصفتها مقالات، بطبيعتها وخصائصها، وليس للتنوع الذي ذكر أي تأثير في ذلك، فهي جميعا تتصف بأن ثمة موضوعا وكان للشيخ فيه مقالة، رسالة بثها إلى الجمهور (المتلقين).

كما أن مقالات الشيخ تكشف بوضوح عن اتجاهه الفكري، ومنهجه الدعوي، ونظرته إلى واقع الأمة الإسلامية في هذا العصر، ورؤيته في معالجة قضاياها ومشكلاتها القائمة في وقتها.

وهي متنوعة في مجالات الأدب والتربية والتعليم والدين والفكر والسياسة والاجتماع.

وسعت هذه الدراسة إلى الكشف عن شخصية الشيخ أبي الحسن الأدبية، وتجلياتها الفنية، الإبداعية، والكشف عن أساليبه الفنية في كتابة المقالة، ومكانته المرموقة بين أدباء عصره وعلمائه، ودوره الكبير في التنظير للأدب الإسلامي.

وتتألف هذه الدراسة بعد المقدمة- حسب خطتها - من تمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة.

أما التمهيد، فيشمل على:

١ - لمحة موجزة عن حياة الشيخ أبي الحسن الندوي - رحمه الله - تضمنت ترجمته، ونشأته، وتعليمه، وحياته العلمية والعملية، ووفاته.

٢ - لمحة عن المقالة: تضمنت التعريف بالمقالة، وتاريخها، وأنواعها، ومراحل تطورها، ومكانتها، بين الأجناس الأدبية.

وأما فصول الدراسة، وهي خمسة، فقد كانت على النحو الآتي:

الفصل الأول، مصادر مقالات الندوي:

يتألف من ثلاثة مباحث، تضمنت دراسة مصادر مقالات الشيخ أبي الحسن، وهي: القرآن الكريم، والحديث النبوي، والتراث العربي.

الفصل الثاني، العوامل المؤثرة في مقالات الندوي:

ويتألف من أربعة مباحث تضمنت دراسة العوامل المؤثرة في مقالات الشيخ، وهي: بيئته، وثقافته، ورحلاته، وروح العصر.

ويتضح من خلال الدراسة أن هذه العوامل مترابطة متكاملة، لا يمكن الفصل بينها إلا لغرض الدراسة. وأثرها واضح في مقالات الشيخ، من حيث الموضوعات والقضايا التي عني بها، ومن حيث أسلوب معالجتها فكريا، وفي فن الأداء اللغوي، ولا سيما معجمه اللفظي.

الفصل الثالث، دراسة موضوعات مقالات الندوي:

المقالة عند أبي الحسن الندوي
(١٣٣٣-١٤٢٠ هـ)
دراسة نقدية في الموضوع والفن

ويتألف من أربعة مباحث، هي: الموضوعات الإسلامية، والتاريخية، والسياسية، والاجتماعية، والأدبية، والنقدية.

وقد قسمت عينة الدراسة إلى أربعة مجموعات حسب الموضوعات في هذه المباحث، وفي كل مبحث درست عددا من الموضوعات الفرعية من خلال عدد من مقالات الشيخ، في الجانب الموضوعي.

الفصل الرابع، دراسة البناء:

ويتألف أيضا من أربعة مباحث، تضمنت دراسة بناء المقالة في أجزائه الأربعة: العنوان، والمقدمة، والمتن، والخاتمة.

وهذه الأجزاء هي مكونات بناء المقالة، في إطارها العام شكلا ومضمونا، إلا أنه ليس من اللازم أن تشتمل خطة المقالة على هذه الأجزاء، ولكن يظلّ مدى ترابط أجزاء المقالة هو معيار وحدتها: موضوعيا وفنيا، بوحدة العناصر الأدبية، ومن ثم فإن العنصر الأهم في دراسة بناء المقالة هو الأسلوب.

وفي ضوء ذلك درست هذه الأجزاء في مقالات للشيخ أبي الحسن، مما اشتملت خططها على هذه الأجزاء كعناصر في تأليف المقالة.

الفصل الخامس، دراسة الأسلوب:

ويتألف من أربعة مباحث، تضمنت دراسة: المستوى اللفظي، والتركيبي، والتصويري، والخصائص الفنية العامة لمقالات الشيخ أبي الحسن.

فمضمون هذا الفصل دراسة أسلوب الشيخ أبي الحسن، في استعمال الألفاظ من حيث مناسبتها للمعاني والأفكار في

تطابق موضوع المقالة، ثم أساليبه في التراكيب اللغوية، والبلاغية، والصور الفنية واستعمالها في بناء المقالة، ثم الخصائص الفنية العامة لمقالات الشيخ، وذلك في الجانب الفني في بناء المقالة، بوحدة العناصر الأدبية.

واعتمدت في هذا الفصل على الدراسة التطبيقية، في عدد من المقالات، في كل مبحث، لاستيضاح الخصائص العامة في أسلوب الشيخ، ومستوياتها في الوضوح والسهولة والبيان في الأداء المقالي.

علما أنني استثنيت في هذا الفصل من الدراسة المقالات التي تبين أنها مترجمة إلى العربية، لأن الأسلوب التعبيري فيها للمترجمين.

الخاتمة:

وتضمنت أهم نتائج الدراسة، والتوصيات والمقترحات، وهي:

١ - تتميز مقالات الشيخ الندوي بكونها (دعوية) في كل موضوعاتها، وكان هدفه العمل على إصلاح واقع الأمة الإسلامية، بمعالجة قضاياها ومشكلاتها المعاصرة، على أساس من أصول الشريعة الإسلامية.

٢ - تشكل هذه المقالات بجملتها صورة متكاملة لمنهج الشيخ في الدعوة الإسلامية، ومجالات نشاطه الدعوي، ونظرته إلى واقع العالم عامة، وإلى واقع الأمة الإسلامية خاصة.

وظهر من خلال هذه الدراسة أثر ثقافته الواسعة، ولا سيما معرفته بعدد من اللغات، لغة أردو وهي لغته الوطنية،

والغة العربية وهي لغته الدينية، إضافة إلى الإنكليزية والفارسية، وكان أيضا لبيئته، وروح العصر أثر واضح في مقالاته.

٣ - يتسم المنهج الدعوي للشيخ بالشمولية في نظرته إلى واقع الأمة الإسلامية، في أن إصلاحه لا يتم جزئيا، ولذلك عني بالدعوة إلى العمل على الإصلاح الشامل، في كل جوانب حياة المجتمعات الإسلامية.

٤ - من أبرز القضايا التي عني بها الشيخ، النظرة إلى الحضارة الغربية الحديثة، والموقف منها. فيدعو الشيخ إلى الاستفادة علميا من الحضارة الغربية، على أن تصاغ صياغة تتفق ومبادئ الشريعة الإسلامية.

٥ - وثمة قضايا ومسائل عني بها الشيخ في مجالات التراث والثقافة والأدب والتعليم، ومن ذلك الإصلاح.

وفي مجال الأدب وقضاياها كذلك عني الشيخ أبو الحسن بدور الأدب وصلته بحياة المجتمع والأمة، ووقف عند مشكلة تسلط المتكلفين في صناعة الأدب، وجريرتهم في تكريس التقليدية والسطحية في الدرس الأدبي، وأنهم كانوا سببا في عدم الاهتداء إلى مصادر الأدب الطبيعي، من كتب السنة والسيرة النبوية، مما اشتملت عليه من روايات الحديث النبوي، وكذلك كتب التراث في مختلف المعارف غير الأدبية، فقد كانت متونها

نصوصا من الأدب الطبيعي، الذي لا يعرف التكلف أو التصنع، وإلى ذلك أدب الرسائل والخواطر. فقد نبه الشيخ إلى الرسائل الطبيعية - من غير رسائل الأدباء المحترفين لصناعة الأدب -. وبذلك كان الشيخ أبو الحسن في مقدمة النقاد والأدباء المسلمين المعاصرين، فضلا عن ريادته في الدعوة إلى الأدب الإسلامي والتنظير له. وإن مقالاته لمما يشهد بذلك، فهي الصورة الفعلية والتطبيق العملي في توظيف الأدب التوظيف الأمثل في الدعوة الإسلامية.

٦ - اشتملت خطط غالبية المقالات من عينة الدراسة على الأجزاء المكونة لبناء المقالة: المقدمة، والمتن، والخاتمة، فضلا عن العنوان. واتسمت مقالات الشيخ بترابط أجزائها وتلاحمها، في تشكيل بناء المقالة، في إطارها العام. وتتفاوت مقالات الشيخ من حيث الطول والقصر، فبعضها قصير، أقل من صفحتين إلى أربع صفحات. وذلك قليل - في عينة الدراسة - فإن مقالات الشيخ تتميز بالطول، وبعضها نشر في حلقتين أو أكثر، وكثيرا منها يأخذ شكل بحث قصير.

٧ - يتسم أسلوب الشيخ على المستوى اللفظي بالوضوح، فألفاظه فصيحة واضحة المعاني، وقد استمد مادة معجمه اللفظي - اللغوي - من مصادر ثقافته، وفي مقدمتها الكتاب والسنة، ثم كتب التراث العربي الإسلامي، التاريخية، والأدبية، والفكرية، وثقافة عصره.

٨- كما يتسم أسلوب الشيخ على المستوى التركيبي بالسهولة والوضوح، في أساليب التركيب اللغوية والبلاغية. ويتميز الأسلوب المقالي للشيخ بالإطناب في العبارة، في كثير من الأحيان، ومن مظاهره التكرار والترديد، والسبب في ذلك إلحاح الشيخ في التعبير، بدافع الحرص على تبسيط أسلوب أداء المعاني والأفكار، في بثه المقالي، للتواصل مع المتلقي.

وكان الشيخ في أسلوب أدائه التعبيري قريبا من المتلقي. فكثيرا ما يستخدم ضمير جماعة المتكلمين (نحن) أو (إنا) الدالة عليهم، وذلك أدعى لجذب المتلقي، وتفاعله مع المقالة.

٩ - وعلى المستوى التصويري يستعمل الشيخ الصور الجزئية، البيانية وغير البيانية في التعبير عن المعاني والأفكار الجزئية في سياق المقالة. وغالبا ما تميل إلى التجسيد والتشخيص والتجسيم، في التعبير عن المعاني المجردة، بقصد توضيحها.

١٠- تتشكل في سياق كثير من مقالات الشيخ صور كبرى، على مستوى فقرة أو مقطع من المقالة، فيتألف بناؤها في وحدة مكتملة العناصر الفنية، بما فيها الصور الجزئية.

وأحيانا تشكل هذه الصورة مشهدا تصويريا، أو وصفيا بأسلوب السرد الإخباري - حسبما يقتضيه السياق - فتسهم مثل هذه الصورة في تحقيق وحدة المقالة.

١١- وتتشكل في مقالات الشيخ موسيقى تظهر إحساسه بإيقاع المعاني وتجاوبها في نفسه، في التراكيب اللغوية، وتوازنها، مع تناسب المعاني وترابطها، في الأنساق اللغوية والبلاغية، والأداة الأساسية في ذلك الألفاظ المناسبة في إيقاعاتها الصوتية، ومعانيها في التراكيب.

١٢- ومن السمة العامة في مقالات الشيخ أبي الحسن عنايته بالمعاني والأفكار، ولذلك يسخر لها أدواته ووسائله التعبيرية، ومن مظاهر أسلوبه في ذلك التدقيق في جزئيات المعنى والفكرة، وذلك بطبيعة أسلوبه التعبيرية، يدافع الاهتمام بإقناع المتلقي بالأدلة والبراهين، فيستعمل الشاهد، والمثل، والصورة الفنية.

ويؤخذ على أسلوب الشيخ:

- الإسهاب في بعض الأحيان، مما يسبب تداخلا بين فكرة وفكرة، أو الخروج من معنى أو فكرة في سياق المقالة. وأحيانا يطيل الكلام بين بداية الجملة ونهايتها، وربما لا يأتي على نهاية الجملة، فيسبب ذلك اضطرابا في بعض المواضع من سياق المقالة.

- يلاحظ في أسلوب الشيخ في النقل، أنه أحيانا لا يشير إلى

المصدر، وقد يذكر اسمه في المتن فحسب، وإذا ما ذكر المصدر والصفحة في الحاشية لا يذكر معلومات النشر، وسواء في ذلك النقل بالفكرة أم باللفظ، مما يجعل من الصعب الاهتداء إلى مصدره.

وربما كان سبب ذلك هو السهو أو عدم الاهتمام من القائمين على الطباعة والنشر، وقد يكون النقل من محفوظات الشيخ فيورده دون إحالة مفصلة إلى المصدر.

وأخيرا توصي الباحثة:

أ- الاهتمام بدراسة مقالات الشيخ أبي الحسن الندوي، في جانبيها الموضوعي والفني، فإن مقالات الشيخ الندوي تشكل محاور عديدة ومهمة فيما اشتملت عليه من موضوعات، وعلى الرغم مما كتب عن الشيخ أبي الحسن فإن مقالاته لم تنل حظها من البحث والدراسة، وخاصة في الجانب الفني.

ب - الاهتمام بقضايا ومسائل دعا الشيخ إلى معالجتها، ومنها قضايا الأدب، وفي مقدمتها العناية بدراسة الجانب الأدبي في الحديث النبوي، والأدب الطبيعي، وقد أبان الشيخ عن مصادره، في كتب السنة والسيرة النبوية، وكتب التراث العربي الإسلامي.

ج - جمع مقالات الشيخ أبي الحسن من مصادرها، وتصنيفها حسب أنواعها وموضوعاتها، ومن ثم العمل على نشرها لتكون في متناول الدارسين والباحثين، والنقاد، بل الدعوة إلى تناولها في دراسات علمية جادة ■